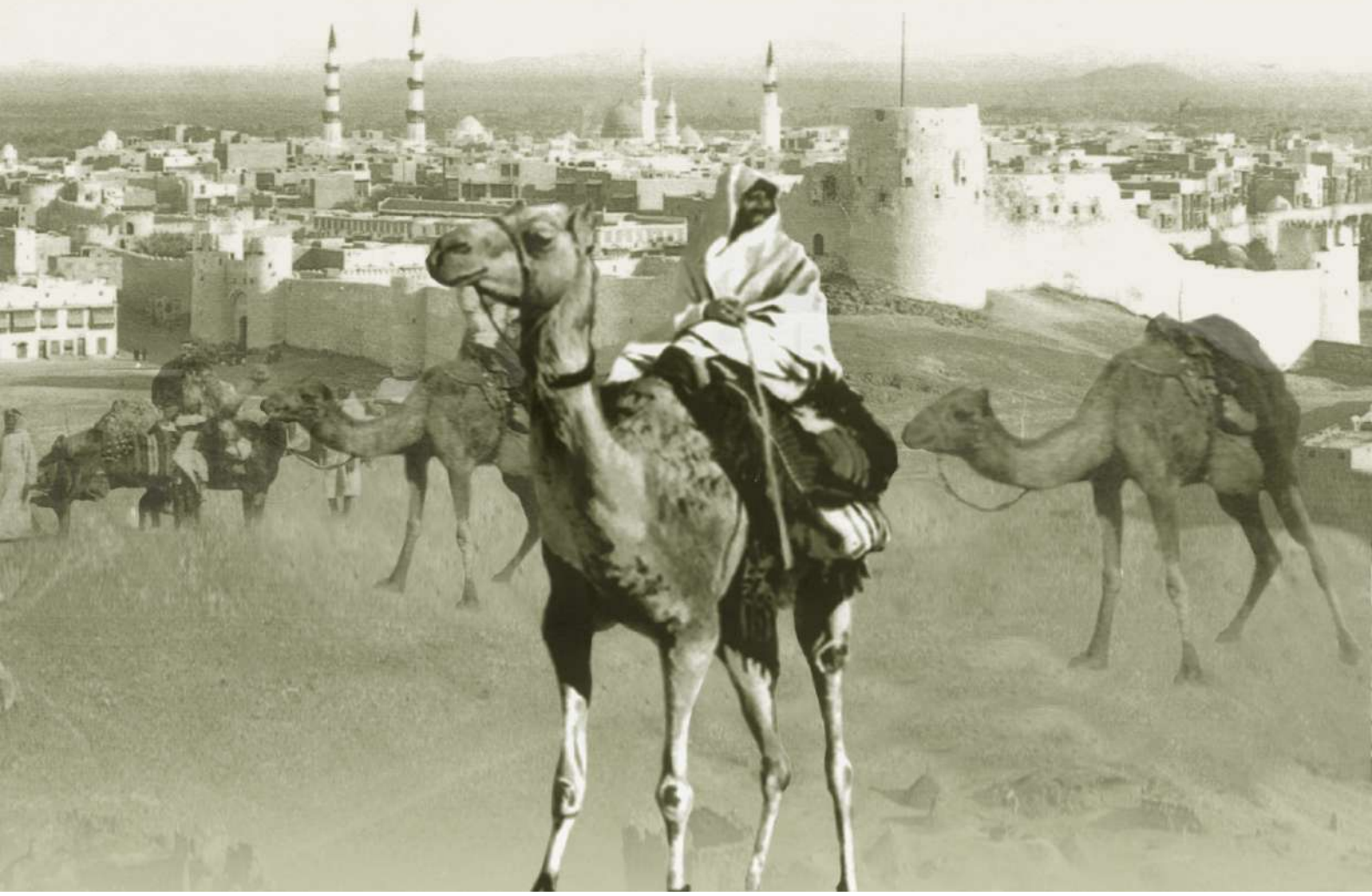


مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

العدد الثالث - شوال - ذو الحجة ١٤٢٣ هـ - ديسمبر - فبراير ٢٠٠٣ م



- مسألة مضاعفة الصلوات في المساجد الثلاثة هل تقع في النوافل؟
- محدث الحرمين عمر بن حمدان المحرسي
- المدينة المنورة في عيون الشعراء
- وصف المدينة عام ١٢٣٠هـ لبركهارت
- المجالس الثقافية المعاصرة في المدينة المنورة
- بدايات الحياة العلمية والأدبية للمرأة في المدينة المنورة
- ملامح النهضة الصناعية بمنطقة المدينة المنورة



المدينة المنورة في عيون الشعراء

د . عبيد خيري

كلية التربية للبنات بالمدينة المنورة

مقدمة
حينما يُذكر اسمها يكتسي الكون بهاءً لا يعرف الشبيهه ،
وتغرق الدنيا في ضيائها ما طافت بيبال نجيمة تتكئ والهة على هُذب
القمر .. إنها حلم كل فؤاد لمسلم في مشارق الأرض ومغاربها أن يأتي إليها ويحلق
مأخوذاً بالصفاء حين يقف رافعاً يديه إلى الله بقرب قبر خير الخلق وآخر
النبين ... إنها مدينة المصطفى ﷺ ... إليها هاجر ، وفيها ثوى حين توفاه الله ...
يحس الإنسان هنا أنه يسير فوق أظهر تراب فيتنفس أريجاً آتياً من الفردوس ...
عقب الجنان هنا وشموس النقاء والطهر تشرق لتنير كل ذرة رمل في هذه البقعة
المباركة ... وعندما سطر التاريخ سيرتها سالت الحروف فخراً وشموخاً سامت
هام الثريا وجبين البدر ... كانت هجرته إليها أساساً أرسى الضياء في أفئدة
البشر فأنارت طريقهم وأرشدت خطاهم إلى خير السبل .

ليس غريباً أن تشمخ ملهمة لكثير من الشعراء ليسطروا أحلى القصيد
ويكتبوا أجمل ما كتب في القريض ... وكيف يحلو الشعر وترق القافية إذا لم يكن
ما تتحدث عنه هو هذه البقعة الطاهرة ! .. إنها طيبة الطيبة ... المدينة المنورة .

للشاعر السعودي عبد المحسن حلييت مسلم قصيدة رائعة عن المدينة المنورة
عنوانها (سيّدة الدنيا) ، يقول فيها^(١) :

أنا (المدينة) مَنْ في الكون يجهلني	ومَنْ تُراه درى عنّي وما سُغلا ؟
تتلمذ المجدُ طفلاً عند مدرستي	حتى تخرّج منها عالماً رجلاً
فتحت قلبي لخير الخلق قاطبةً	فلم يفارقه يوماً منذُ أن دخلنا

(١) د. ماجد إبراهيم العامري : قصائد مختارة عن المدينة المنورة المختارة ، الطبعة الأولى ، مطبعة الصلاح ،

وصرتُ سَيِّدَةَ الدُّنْيَا بِهِ شَرْفًا
ومسجدي كان .. بل ما زال أُمْنِيَّةً
فكلُّ مغتربٍ داوَيْتُ غُرْبَتَهُ
وفي هَوَايَ ملايِينُ تنامُ على
تنافسوا في غرامي .. أرسلوا كُتُبًا
أنا المنوَّرةُ الفيحاءُ ذا نَسَبِي

هذا بلا شك شاعر جزل الكلمات ، ذو عبارة تشف روعة وحسناً يسطر بحرفه الرائع حقائق عن مدينة المصطفى ﷺ ، وكذا الحلم الذي تهفو له قلوب الملايين من المسلمين .

نظم حافظ إبراهيم - شاعر النيل - قصيدة بعنوان (مصر تتحدث عن نفسها) ، جاء فيها قوله^(١) :

وقف الخلق ينظرون جميعاً
وبناة الأهرام في سالف الذهب
أنا تاج العلاء في مفرق الشر
أي شيء في الغرب قد بهرنا
فترا بي تبرؤوه هري فرات
أيما سرت جدول عند كرم
أنا أم التشريع قد أخذ الرو
ورصدت التجووم منذ أضاءت
وشدا (بنتنور) فوق ربوعي

كيف أبني قواعد المجد وحدي
ر كفوئي الكلام عند التحدّي
ق ودرائسه فرائد عقدي^(٢)
س جمالاً ولم يكن منه عندي؟
وسمائي مصقولة كالفرند^(٣)
عند زهر مدثر عند رند^(٤)
مان عني الأصول في كل حد
في سماء الدجى فأحكمت رصدي^(٥)
قبل عهد اليونان أو عهد (نجد)^(٦)

(١) ديوان حافظ إبراهيم ، الجزء الثاني ، بيروت ، الناشر محمد أمين دمج ، ١٩٦٩م ، ص ٨٩ - ٩١ .

(٢) العلاء (بالفتح والمد) : الرفعة والشرف ، المفرق : وسط الرأس . الفرائد : الجواهر التي لا توائم لها لنفاستها ، والواحدة : فريدة . ويريد بدارته : ممالك الشرق التي كان لمصر الزعامة عليها .

(٣) الفرزات : العذب . والفرند : السيف .

(٤) مدثر : مختلف الألوان أو مشرق متألئ . والرند شجر طيب الرائحة .

(٥) كان المصريون من أقدم الأمم التي اشتغلت بعلم الفلك ، وقد ذكر مؤرخو اليونان أن أمهم أخذت هذا

العلم عن المصريين ، وقد عثر في بعض المقابر على آلات الرصد ومصورات لشكل السماء ومواقع نجومها .

(٦) بنتنور أقدم شاعر عرفه التاريخ وهو مصري ، وقبل عهد اليونان أي قبل شعراء اليونان وشعراء العرب .

ونظم الشاعر السعودي الكبير حسن مصطفى الصيرفي قصيدة رائعة بعنوان (أمجاد المدينة) تحدث فيها على لسان المدينة المنورة كما تحدثت مصر عن نفسها في عصماء حافظ إبراهيم - شاعر النيل - تقول القصيدة^(١) :

وقف النَّاسُ ينظرون مناري	كيف شَعَّ الهدى على كلِّ نجدٍ
أنا دارُ الإيمانِ والمثلُ العُلـ	يا ورمزُ الخلودِ في كلِّ مجدٍ
أنا إنْ بَدَدَ الزمانُ شعاعي	لن ترى النورَ هذه الأرضُ بعدي
أنا خيرُ البقاعِ كَرَّمَنِي اللهُ	بخير الأنامِ في خيرِ لَحْدٍ
أنا لا أملأُ البلادَ ضجيجاً	خادعاً كالسُّرابِ ليس بمُجدٍ
أنا فيما مضى صنعتُ كثيراً	وسيبني الجديدَ لا بُدَّ زُندي
في رحابي ترعرعَ العلمُ طفلاً	ومشى حارساً جحافلَ أُسدي
دَوَّخوا قيصرًا وطاحوا بكسرى	ومَضَوْا يتبعون هِنداً بسِندي
لم تُرعهم جيوشُ (لذريرق) لمأً	جاوزوا البحرَ في طلائعِ جُردي
ويمضي الشاعر فيقول :	

الأثيرُ الذي به يتباهو	ن لقد كان لي كأطوع عبدي
وجيوشُ السَّماءِ يوم حُنين	نصرتُ معشري بأكرمِ جُندي
والأعاصيرُ والرياحُ بسَلحٍ ^(٢)	مَرَّقَتْ شَمْلَ قاصدي بالتعددي
أنا هذا الذي ذكرتُ فَمَنْ ذا	يرفَعُ الرأسَ بعد هذا التَّحددي؟
هكذا حركت عصماء حافظ الشاعر الفحل حسن مصطفى الصيرفي	
وأثارت فيه مواطن إعجابه لطيبة الطيبة فكتب بياهي بها شاعر النيل ويرفع لها	
شأننا ينبغي أن يكون هو الأُوحد .	

(١) حسن مصطفى الصيرفي: ديوان (دموع وكبرياء) ، من منشورات نادي المدينة المنورة الأدبي ، دت.، ص ٧ - ٩ .

(٢) سلع : جبل معروف في شمال غرب المدينة، عسكر المسلمون في سفحه الشرقي والشمال في معركة الأحزاب ، ومر الخندق من أمامه شمالاً .

وللشاعر السعودي عبد السلام هاشم حافظ قصيدة بعنوان (الشوق يا وطني) يعبر فيها عن شوقه وحنينه للمسجد النبوي الشريف والروضة المطهرة بقوله^(١) :

أين المشاهد من دار الرسول بها	معاهد الفضل والتقوى وألحاني؟
أين العبير يُغذيني إذا خشعت	جوارحي في مناجاتي بإيماني؟
في المسجد النبوي عند الرسول أرى	نور الهدى ماحياً همّي وأشجاني
بين المدينة ، والأثار زاهرة	بها الحياة وفيها الخير كفلان
ضمت فضائل أجيال جوانحها	والدهر يُملّي تواريخاً ببرهان
سرُّ الجلال بها ، والله كرمها	بالدين والنور من وحي وقرآن

هنا يتحدث الشاعر عن النور الإلهي الذي يشع في مدينة الرسول ﷺ خاصة والوحي نزل بها فأضحت منارة شامخة الشروق في أفئدة المسلمين .

ولشاعر المدينة المنورة محمد هاشم رشيد قصيدة بعنوان (عودة الغريب) ، والغربة هنا - كما أشار الشاعر نفسه - رمز للضياع الذي عاناه حين برحت به النوى بعيداً عن رحاب المدينة الطاهرة . وتوضيحاً للفكرة وتبسيطاً لها قام شاعرنا باستخدام كلمة ((المشوق)) بدلاً من ((الغريب)) فقال^(٢) :

عاد المشوق إليك فاعتنقيه	ودعيه يغفو في رؤى ماضيه
ويمد كفيه فيحتضن النقا	ويُعانق الحصباء في واديه
وينام ملء الجفن يغمُرهُ الشذا	والحبُّ بين رفاقه وبنيه
عاد المشوق إلى ربوعك ظامئاً	والنارُ تُلغحُ كلَّ عِرْقٍ فيه
لم يُبقِ منه الشوقُ غيرَ ذُبالةٍ ^(٣)	ولهي تذوبُ على دروب التيه
عصفتُ بها هُوجُ الرياح وومضها	كادتُ غواشي الليل أن تطويه
فدعيه ينعَمُ بالسلام وبالرضا	فالحبُّ يُشعلُ ضوؤه وبقيه
حتى إذا هدأت عواصفُ روحه	وتهدجُ اللحنُ الذي يشجيه
فدعيه ينضو السترَ عن خلجاته	وكهوفِ صبوته ، وما تُخفيه

(١) عبد السلام هاشم حافظ : الأعمال الشعرية الكاملة ، الجزء الأول ، الطبعة الأولى ، من منشورات نادي المدينة المنورة الأدبي ، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م ، ص ٥٩٢ - ٥٩٤ .

(٢) محمد هاشم رشيد : الأعمال الشعرية الكاملة ، المجلد الأول ، الطبعة الثانية ، إصدارات نادي المدينة المنورة الأدبي ، دار العلم للطباعة والنشر ، جدة ، ١٤١١ هـ ، ١٩٩٠ م ، ص ٣٠٨ - ٣٠٩ .

(٣) ذبالة : شئ ضئيل .

وَيُجَسِّدُ الْأَطْيَافَ فِي تَرْنِيمَةٍ حَرَى يَكَادُ شَوَاطِئُهَا يُرْدِيهِ

هذه الأبيات تعكس ما يعانیه ساكن المدينة المنورة عندما يخرج مبتعداً عنها في ظرف طارئ وقاهر. هنا يحس بالضياع وفقدان الهوية ، ويحس أنه فارق بقعة حبيبة إلى قلبه لا يساويها ولا يدانيها مكان في هذه الدنيا الرحبية . ولهذا الشاعر العملاق قصيدة أخرى بعنوان : (الحسناء الموعودة) ، خلع على المدينة المنورة ملامح الحسناء المتجسدة في دنيا الواقع ، يقول في مقاطعها^(١) :

وَعَدُوَهَا
وَعَدُوا أَحْلَى صَبِيَّةً
بِالْكُنُوزِ الْعَسْجِدِيَّةِ
بِالْيَنَابِيعِ السَّخِيَّةِ
بِمَوَاعِيدِ اخْضِرَارِ .. أَبْدِيَّةِ
تَلْتَقِي الدُّنْيَا عَلَى أَفْيَافِهَا
وَتَعْنِي الشَّمْسُ فِي أَضْوَانِهَا
وَعَلَى آفَاقِهَا يَشْدُو الْقَمَرُ
وَهُوَ حُبٌّ وَابْتِسَامٌ وَخَفَرٌ

وَعَدَتْ فِي مَفْرَقِ الشَّمْسِ مَنَارَهُ

(١) ملف العقيق (ملف ثقافي أدبي محكم يصدر عن نادي المدينة المنورة الأدبي) ، مج ١ ، العددان ١ ، ٢ ، رجب

١٤١٢ هـ - يونيو ١٩٩٢ م ، ص ٢٠٩ - ٢١١ .

تزدهي الأقداسُ فيها والحضارهُ
إنها (طيبة) والكف الخصبيةُ
والحبيبُ (الفهد) والأمُّ الحبيبةُ
حقق الفهد لها ما ترتجيه
ومضى يحنو عليها .. كأبيه
ورعاها .. فحباها .. بأخيه
فازدهت في فرحة اللقيا وغنّت من جديد
ويداها في يدي .. عبد المجيد .

في هذه الأبيات يصوّر الشاعر تعلق قلبه بطيبة الطيبة التي يشبها بحبيبة
أثيرة ويمضي فيشبهها بالكنوز العسجدية ثم يأتي إلى ذكر ما نالته من حضارة
عمرانية عانت الحضارة الروحية التي عُرُفت بها هذه البقعة الطاهرة . كل ذلك
صاغه الشاعر في ربط تاريخي جيد وأسلوب سلس بليغ .

وللشاعر السعودي خالد محمد النعمان قصيدة بعنوان (أسكنها
وتسكنني) يعبر فيها عن حبه العميق لطيبة الطيبة ، يقول فيها^(١) :

والشوقُ يُلهبُ خافقي بهواها	في حُضنها وتضمُّني بحشاها
وتلهفي يزداد في لقاها	عجبا لحالي بين حُضن حبيبتي
صباً وإن جادت عليه لهاها؟	أرايتمو صباً على مرّ المدي
في لبّ لبّي إخوتي مأواها	هذي الحبيبةُ ما عشقتُ سواها
فاق العبيرَ غبارها وثرها	أحببتها حسناء تأسرُذا النُّهى
أوقاعها وحرارها ورِيّها	إن هبّت النُّسماتُ من أردانها
طيباً ولا عرّفَ المثل شذاها	فالمسكُ يقصر لا يفوح كفوحها
من بقعةٍ ولمصطفاهُ حباها	لا غرو ما دام الإله أحبّها
فيها ، وتنفي كلّ من عادها	تؤوي التقيّ ومن مضى بتأدبٍ
كم ذا ترى لخبائثٍ أشباها	كالكير ينفضُ عنه كلّ خبائثٍ
أضحتُ بضيءِ ظلالها وذراها	ثم يمضي الشاعر فيقول :
	يا بلدةً نافتُ فكلُّ مدينةٍ

(١) د. ماجد إبراهيم العامري ، مصدر سابق ، ص ١٢١ - ١٢٣ .

جاءت بهذا الفضل معنيً واضحاً فثوى، ومذهب مالِكٍ أفتاها
مُدَّ حَلَّ نورٍ مُحمَّدٍ حلَّ الهدى فيها ومن رُزقِ النُّهى يهواها
حَثَّ الورى نحو الإقامة والتقى والموتِ في أرض المدينة طهه

تصوّر هذه القصيدة الرائعة هيام كاتبها بالمدينة المنورة وتعلقه بكل ما فيها من آثار وذكريات ومواضع تسكن القلب حباً وشوقاً. ولقد حملت القصيدة الكثير من الأحاديث التي قيلت عن فضل المدينة المنورة وفضل ساكنيها والنهاية التي يتمناها كل مسلم أن يكون مثواه البقيع عندما يفارق هذه الدنيا الزائلة.

وهاهو ذا الشاعر السعودي الواعد : مجدي نضر خاشقجي يتحفنا بقصيدة معبرة عن شوقه وحنينه إلى المدينة المنورة وهو بعيد عنها في زيارة للمملكة المتحدة ، يقول فيها^(١) :

شوقي إلى بلد الرسولِ كبيرُ والشُّوقُ يبعثه النَّوى فيثورُ
مَنْ لي إلى ملءِ العيونِ بطيبةٍ؟ قلبي بلا جُنحٍ يكادُ يطيرُ
أين القبابُ العالياتُ بفضَّها أين المنارُ وأين ذاك النُّورُ؟
فالقُبَّةُ الخضراءُ يعلو نورُها فيضاً منها سهلها والدُّورُ
والرَّوضةُ الغراءُ فاح أريجها ينبيك عن عطرِ الرِّياضِ عبيرُ
والوحي مابين السَّتورِ مُجلجلُ والهديُّ والتَّنزيلُ والتَّنويرُ
جَلَّ المكانُ وجَلَّ من أهدى الورى نوراً وهدياً للأنام يُنيرُ
والحصوةُ الحمراءُ شاهدُ عرَّة حتَّى حمائمُ الأيكِ جاء يزورُ
الله أكبرُ يا مدينةَ أحمدٍ بك طول عمري إنني لفضورُ
قد طفتُ في شرق البلادِ وغربها ما للمدينةِ في البلادِ نظيرُ

الشوق إلى مدينة الرسول ﷺ دائماً هو شوق لا يعادله شوق . وشاعرنا هذا ذابت مهجته في محبة هذه المدينة الطاهرة فكتب هذا القصيد ليرسم لهفته لرؤية هذا المكان الأثير وهو بعيد في بلاد الغربية يعاني لواعج الشوق .

(١) مجدي نضر خاشقجي : ديوان (ضفاف الذكريات) ، الناشر نادي المدينة المنورة ، مطابع الفرزدق التجارية ، الرياض ، ١٤٠٣هـ ، ص ١٢ - ١٣ .

وللشاعر السعودي بشير سالم الصاعدي قصيدة رائعة بعنوان : (قبيلات على جبين طيبة) أشار فيها إلى حبه واشتياقه إلى طيبة الطيبة ، كما أشار فيها إلى قدسيته ومكانتها السامقة في قوله^(١) :

يا أرض أحابي ومهد طفولتي	يا أرض أحابي ومهد طفولتي
يا أقدس الأقطار حبك مورك	يا أقدس الأقطار حبك مورك
يا غرس حب في الصدور ترعرعي	يا غرس حب في الصدور ترعرعي
يا مبرز الإيمان حسبك رفعة	يا مبرز الإيمان حسبك رفعة
شرفت حين أتى إليك مهاجراً	شرفت حين أتى إليك مهاجراً
قبلت أرضك في اشتياق متيم	قبلت أرضك في اشتياق متيم

ثم يترنم شاعرنا في لهفة وشوق واشتياق ، فيقول:

أمضيت أعواماً أغنى للهوى	أمضيت أعواماً أغنى للهوى
حسناً عذب الشعر إن ناديتَه	حسناً عذب الشعر إن ناديتَه
المجدد يخجل من سموحك فاهنيء	المجدد يخجل من سموحك فاهنيء
ياربنة الحسن الذي لا ينتهي	ياربنة الحسن الذي لا ينتهي

هذا بلا شك شاعر متيم يسكب محبته في كلمات رائعة رصينة عن هذه المدينة المباركة وفي صور جميلة تأخذ بالألباب .

الشاعر السعودي السيد علي حافظ كتب قصيدة عصماء بعنوان : (حين وأشواق) نقتطف منها ما يلي^(٢) :

سقاك الله يا تلك المغاني	سقاك الله يا تلك المغاني
وباكرها النسيم بكل عطر	وباكرها النسيم بكل عطر
فما أحلى المقليل بسفح سلع	فما أحلى المقليل بسفح سلع
هي البلد الذي أوى رسولا	هي البلد الذي أوى رسولا
هي البلد الذي ضحى بمال	هي البلد الذي ضحى بمال
هي البلد الذي من رام خيراً	هي البلد الذي من رام خيراً

(١) د . ماجد إبراهيم العامري ، مصدر سابق ، ص ١٧٨ - ١٨٢ .

(٢) علي حافظ : ديوان (نضحات من طيبة) الطبعة الأولى ، جدة ، المملكة العربية السعودية ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م ،

١٩٨٤م ، ص ١٣ - ١٥ .

(٣) وادي العقيق : من أودية المدينة المنورة .

بها الأنصارُ أبطالُ أباةٍ حُمأةُ الدارِ إن أتِ أتاها
يُريقون الدماءَ بلا دُموعٍ إذا ما الحربُ قد دارت رَحَاهَا
أطاعوا أحمدَ الهادي وساروا بإيمانٍ على سَنَنِ مشاها
فطُوبى للمدينةِ ثمَّ طُوبى لمن نالوا الجوارَ بها وجاها

يستعرض الشاعر في هذا القصيد الذكريات الطيبة الجميلة التي قضاها في ربوع هذه البقعة الطاهرة ، وخاصة في أماكنها المشهودة ؛ كوادي العقيق والمجالس الأخرى لأنها مدينة أوت الرسول ﷺ وضمته بين أحضانها ، وأضحت دار الهدى والنور .

أما الشاعر السعودي المتألق محمد العيد الخطراوي فقد جادت قريحته بقصيدة عصماء بعنوان : (أنا في طيبة) يقول فيها^(١) :

أنا في طيبة أتية على الدهر بر وأمشي على رؤوس الليالي
حاملاً مشعلَ الفخار أغنني بشموخٍ في موكبِ الأمالِ
هامتي في العلى ثباهي الثريا ويدي تستبيح دنيا المحالِ
عن يميني الشموسُ تمضي نساوي والبدورُ الوضاءُ حذو شمالي
وهرقلٌ يسير من خلف كسرى عجباً من مهابتي وجلالي
يسألان الأعراب عن سرِّ فخري وطموحي وروعتي في المقالِ
فتردُّ الأيامُ .. هذا فخورٌ بتراثِ الرِّجالِ إثر الرِّجالِ
إنه شاعرٌ بأحمدٍ يشدو وبأصحابه بُناة المعالي
لا تلوماه إن تباهى وغننى في حمى طيبةٍ لُحونَ الجمالِ
إنما الشُّعْرُ يُستطابُ إذا ما جاء مُستلهماً دُروبَ الكمالِ

هذا شاعر تياه بطيبة الطيبة ، فخورها ، يحس بالشموخ وهو يغني لها في أبياته الجميلة العذبة التي اتسمت بسموق العبارة ، وحسن السبك ، ووضاء الصور ، وليس غريباً أن يكون كذلك فهو شاعر فحل تشهد له أروقة الحرف وساحات الإبداع .

أما الشاعر المصري أبو زيد إبراهيم سيد فقد نظم قصيدة بعنوان : (يا طيبة النور) يقول فيها^(٢) :

(١) د. محمد عيد الخطراوي : ديوان (تفاصيل في خارطة الطقس) ، من منشورات نادي المدينة المنورة الأدبي ، دت ، ص ٧ - ٩ .

(٢) أبو زيد إبراهيم سيد : ديوان (موكب الضياء) ، من منشورات نادي المدينة المنورة الأدبي ، مطابع الفرزدق التجارية ، الرياض دت ، ص ٨٧ - ٩١ .

قد فجرَ النُّورَ في الأكوَانِ إيماناً
سَمِعَ الزَّمَانَ بِهَا ما زالَ ملائناً
ننتُ بكِ الحياةَ حياةً قد علَّتْ شأننا
منك الأغرِيدُ ملءَ الكَوْنِ ألحاناً
والشُّوقُ يسبقُ خطو القومِ نَشواناً
اللهُ أكبرُ خيرِ الخَلْقِ وإفاناً
فقد ضممتِ أجَلَ الخَلْقِ إنساناً

أنَّى نظرتُ أرى لله فُرساناً
فَضَلَ الجوارِ لخيرِ الخَلْقِ إيماناً
تاريخهم بالسَّنَا ما زالَ رِياناً
لَمَّا يَزَلُ لِكَمَاةِ الدِّينِ عُنواناً
ما كنتُ في روعةِ الأشعارِ حساناً
والقَدْرُ قدركِ يعلو الوصفَ تبياناً
يمشي وقد طَبَّقَ الأفاقَ عرفاناً
فتربُّها قد غَدَتِ مسكاً وريحاناً

يصور الشاعر هنا المدينة المنورة وما فيها من أماكن خالدة لها مكان شامخ في التراث ، وتبقى هي التي تميز هذه البقعة الطاهرة وتجعلها أفضل مكان في الكون ، كما يذكر كثيراً من الشخصيات المرتبطة بتراث هذه المدينة الطاهرة التي كان لها دور كبير في مسيرة الإسلام .

ونظم شاعر سوريا الكبير محمد المجذوب قصيدة رائعة عن المدينة المنورة بعنوان : (يا مهبط الوحي) . تقول القصيدة^(١) :

لي بعد لقياك في الأوطانِ من أرب
نظير معنك في الدنيا ولا الكُتُبِ
من ذكرياتِ ملأَن الكونَ بالعَجَبِ
عن البصائرِ فيه ظلمةُ الرِّيبِ

يا طيبة الكونِ يا صُبْحاً بدنينا
يا ملحماً من الأمجادِ ساطعةً
يا من حَضُنْتِ هدى الرَّحْمَنِ فاحتض
محمداً أنتِ قد عانقتِ وانطلقتِ
ورفقتِ الأغنياتِ البيضُ في طربِ
البدْرِ قد جاءَ قد هلَّتْ طوالعه
شرفَّتِ بالمصطفى أصبحتِ طيبةً
ثم يمضي شاعرنا فيقول :

يا طيبة المجد والأعلامِ ساطعةً
هذا أبو بكرٍ والفاروقُ قد مُنحا
هذا البقيعُ وأعلامُ الهدايةِ به
وحمزةُ الأسدِ المقدامُ في أُحدِ
يا طيبة النُّورِ في الأشعارِ معذرةً
إن المهابةَ تكسوني وتغمرني
فمالكُ يخلعُ السُّنَّعِلينِ في أدبِ
يقول أرض بخطو المصطفى شرفَّتْ

حبيبةً أنتِ يا دارَ الحبيبِ فما
وهل يُلامُ مُحَبُّ فيك ليس يرى
في كلِّ ذرةِ رملٍ منك معلمةً
تحكى لنا قصةَ الفجرِ الذي انقشعتْ

(١) محمد المجذوب : ديوان (آلام وأحلام) الطبعة الأولى ، من منشورات نادي المدينة المنورة الأدبي ، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م ، ص ٩ - ١١ .

تروي الأعاجيب من أنباء مدرسة
رئى بها الوحي جيلاً لا كفاء له
بهم تسنمت عرش الأرض قاطبة
ثم ختم شاعرنا منظومته الرائعة هذه بقوله :

يا مهبط الوحي كم لي في رحابك من
قد كان قريبك حلماً لا يرى فغدا
لم يبق في النفس إلا طيف أمنية
مثنوى يضم رفاتي في البقيع إذا

يصف الشاعر هنا المدينة المنورة وصفاً صادقاً لأنها خير البلدان قاطبة . هذا ويعدد الشاعر أماكن الخلود فيها في شعر يخاطب الوجدان ويطرق أبواب القلوب ، سائلاً الله سبحانه وتعالى أن يحقق أمانيه فيدفن في بقيع الغرقد المبارك .

أما الشاعر الأردني ماجد إبراهيم العامري ، فقد جادت قريحته بقصيدة بعنوان : (هي المدينة) يث فيها شوقه لهذه البقعة الطاهرة ، وكيف أن الإنسان يجد فيها السعادة كلها عندما يتذكرها ، وهي التي يطيب للشاعر أن يدل الناس نحوها ذاكراً أماكنها الخالدة ، وربوعها التي تقف شاهدة على خلودها وعظمتها . تقول القصيدة^(١) :

يا جاهز الرحل ما تنفك ترتحل
فيم ارتيادك .. أطلالاً تذوق بها
ألا أدلك .. عن دار .. تلوذ بها
هي المدينة .. فاسكن في مرابعها
وسرح الطرف في أرجائها جذلاً
هي المدينة جبل الدين متصل
يا بارك الله من صانوا رعايتها

ولا ينسى الشاعر الفلسطيني محمد محمود جاد الله أن يتغنى بطيبة الطيبة والضياء الذي سكبته في أنفوس المسلمين وفي حياتهم لأنها ضمت خير النبيين وخاتمهم في أبيات طيبة تليق بشموخ هذه البقعة الطاهرة وعلو مكانها ، يقول فيها^(٢) :

(١) انظر جريدة الندوة الصادرة في ١٤٠٤/٣/٨ هـ .

(٢) د. ماجد إبراهيم العامري ، مصدر سابق ، ص ١٨٩ .

لَكِ يَا طَيِّبَةُ عَلَيْنَا عَهْدٌ
أَنْتِ لِلْعَيْنِ مَتَعَةٌ وَغَرَامٌ
وَهُوَ حُبٌّ نَصُونَهُ فِي قُلُوبِ
مَنْ رَأَى طَيِّبَةً وَضَمَّ رِيَاهَا
نَحْنُ لِلَّهِ يَا حَبِيبَةَ نَحِيَا
حَيْثُ نَرْجُو شِفَاعَةَ مَنْ حَبِيبٍ
مَنْ يَنْلُ حَظَّهُ مِنَ الْعَيْشِ فِيهَا

أما الشاعر اليمني زين صادق العيدروس فقد نظم قصيدة بعنوان : (مآرز الإيمان) عبر فيها عما يختلج في نفسه من عواطف ومشاعر صادقة نحو طيبة الطيبة . تقول القصيدة^(١) :

يَا لَأَثَمِي فِي لَوْعَتِي وَهِيَامِي
أَحْبَبْتُهَا مِنْذُ الْوِلَادَةِ وَالصَّبَا
فَنَمَا وَشَبَّ الْعَشَقُ بَيْنَ جَوَانِحِي
لَا عَيْشَ لِي يَحْلُو بِغَيْرِ حَبِيبَتِي
فَإِذَا رَحَلْتُ فَأَنْتِ غَايَةُ مَقْصِدِي
حُبُّ الْمَدِينَةِ نِعْمَةٌ قَدْ خَصَّهَا
فَخَرُّ الْمَدَائِنِ وَالْبَسِيطَةُ كُلُّهَا
هِيَ بِلِسْمِي الشَّأْفِي وَسَعْدِي وَالْمُنَى
هِيَ مَأْرُزُ الْإِيمَانِ وَالْعِلْمُ الَّذِي
بَلَدَتْ بِهَا الْإِسْلَامُ بَثَّ عُلُومَهُ
فِيهَا جِهَابُذَةُ الزَّمَانِ تَتَلَمَّنُوا
يَا رَاحِلًا نَحْوَ الْعَقِيقِ عَلَيْكَ أَنْ

هكذا تغنى شاعرنا بطيبة الطيبة في أبيات محكمة رصينة ، معدداً ومنقباً في صفحات تاريخها ، كما سجل معالمها وذكر ما لها من مكانة سامقة لا يعادلها مكان على وجه هذه البسيطة .

وللشاعر السوداني الفحل عبد الله الطيب قصيدة بعنوان : (وادي النيل البعيد) جاء فيها قوله^(١) :

(١) المصدر السابق ، ص ٢٢٢ - ٢٢٣ .

وقد زُرْتُ بَيْتَ اللَّهِ واخترتُ خيرتي
وقد طُفْتُ بِالْبَيْتِ العتيقِ ولا مَسَتْ
وَرَوَيْتُ نَفْسِي من سُلَافَةِ زَمْرَم
وَرَوْضِ الرُّحَامِ الأحمرِ الروضِ عنده
« تعشقت فيه قبل أن أعرف الهوى »

يتحدث الشاعر في هذه الأبيات عن زيارته للكعبة المشرفة ثم زيارته للمدينة المنورة التي تعكس محبته إلى أرض المصطفى ﷺ. هذا ويسطر محبته للأماكن التي زارها والتي مكث فيها بعضاً من الوقت. وقد ورث محبته لطيبة الطيبة من أجداده شيوخ الدين الذين يعرفون بالمجازيب.

استطاع الشاعر السوداني يوسف مصطفى التني أن يثبت حقيقة أن الوصال لا يقلل الشوق ولكن يزيده اشتعلاً وتلهفاً ، وبهذا استطاع أن يعبر عن تلك الحقيقة بأبيات عذبة ، صور فيها لهفته وصبابته نحو طيبة الطيبة. تقول الأبيات (٣) :

عدنا لبابك والسعيد يعودُ
جئنا نبلُ الشوقَ طال زمانه
وكذا المحبُ إذا رأى محبوبهُ
وللشاعر السوداني عمران العاقب عبد المجيد قصيدة عصماء بدأها بقوله (٤) :

ما ربعُ مَكَّةَ إن قَرَّ الأليفُ به
إلى أن قال :

الله أكبر ملء السَّمع ردها
فشاق يشرب من تطريبهم نغم
تدنو فتدنو المنى من سعد طالها
فلمبشاشة في الوجدان مُرتبع
بمثله قوبلوا حفَّت بهم مُهَج
الدين ألفهم شتى مذاهبهم

في مسمع البید ذاك الذر والحجرُ
تحدى به العيس إما ملها السفرُ
حتى بدا لهمو في أفقها أثرُ
وطالع في وجوه الستر يبتدرُ
كانت لمطلعهم بالجمر تنتظرُ
فأمنت زمر في إثرها زمرُ

(١) د. عبد الله الطيب : ديوان (بانات رامة) ، الخرطوم ، الدار السودانية ، ١٩٧٠م ، ص ١٣٦ .

(٢) المقام هنا مقام سيدنا إبراهيم عليه السلام .

(٣) مجلة المنهل ، العدد ٤٩٩ ، المجلد ٥٤ ، الربيعان ، ١٤١٣هـ - سبتمبر / أكتوبر ١٩٩٢م ، ص ١٧٢ .

(٤) المصدر السابق ، ص ١٧٣ .

وَضَمَّهمْ من قِباءِ في تفرقهم
 بلال صداحه كم ضم أفئدة
 من خشية الله قد جافت جنوبهم
 مضاجعاً وتغشى ليلهم سهر
 مبنى يُصلي به عان ومقتدر
 وفي العيون أتى الدمع ينهمر

في هذا القصيد يذكر الشاعر الألفة التي ضمت المسلمين ووحدتهم هدفاً وغاية وكان للمدينة المنورة القسط المعلى في هذا الشأن ، وكان مسجد قباء هو المسجد الأول الذي ضمهم وأقاموا فيه الشعائر فصار رمزاً لوحدتهم وتآلفهم وعبادتهم . هذا وذكر الشاعر بلالاً وتأثير أذانه في القلوب وكيف أنه جعل الدموع تنهمر خشية وتقوى .

وللشاعر السوداني الكبير بآبكر البدوي دشين مشاركة رائعة عند توديعه للمدينة المنورة التي كان يعمل بجامعة أستاذاً للغة العربية وآدابها . فهو هنا يصور أشواقه ومحبه العميقة لمدينة الرسول ﷺ . تقول القصيدة^(١) :

لجامعة المدينة في فؤادي
 قضيت بسوحها الفيحاء خمساً
 أودعها وقد أطلعن صباحاً
 أودعها وفي عنقي استقرت
 بفضل الله ثم بها أفدنا
 عليه صلاة ربي كل حين
 أزين بذكره شعري وتبقى
 أليس الجذع حن إليه شوقاً
 حننت إلى المدينة من قريب

وشائج ألفة وعُرى ودا
 وعشراً هن ((راحلتي وزادي))^(٢)
 يضيء بلمتي بعد السواد
 لها ولكل من فيها أياد
 جوار المصطفى خير العباد
 مع التسليم تهمني كالعهد
 محبته بقلبي في ازدياد
 وحياه الحفي من الجماد
 حنيني يوم كنت على العباد

ويمضي الشاعر في رائعته هذه مشيداً بجامعة المدينة المنورة التي شرفت بموضعها في ربوع هذه البقعة الطاهرة ، فيقول :

لجامعة لها يستن ذكر
 حميد في الحواضر والبوادي

(١) انظر ملف العقيق (ملف ثقافي أدبي محكم يصدر عن نادي المدينة المنورة الأدبي) ، المجلد الرابع عشر ، العددان ٢٧ ، ٢٨ ، رمضان / شوال ١٤٢٠ هـ - يناير ٢٠٠٠ م ، ص ٣٠٥ - ٣٠٧ .

(٢) يقول الشاعر بأنه أخذ عبارة ((راحلتي وزادي)) من قول الشاعر المبدع أبي تمام الطائي :
 وما سافرت في الآفاق إلا ومن جدواك راحلتي وزادي

هنالك في المدينة حيث ألفتُ
لدى الوادي الوضيء يشعُّ منها
لدى بئرٍ لِعُرْوَةَ ذاتِ عذيبٍ
وكان الشاعر ابن الجهم عدى
لقد شَرُفَتْ بموضعها وقامتْ

عصاها في العقيق بخير وادي
سنا نور من الإيمان بادٍ
ثُمَّدُ بِهِ الدَّلَاءُ لِكُلِّ صَادٍ
وطوَّفَ بالعقيق على الهوادي^(١)
بطيبة في مُنِيفٍ ثُمَّ طَادٍ^(٢)

ثم يذكر الشاعر بعد ذلك الأماكن التي تقف شاهدة على عظمة هذه المدينة وعلى شموخ تاريخها وما نالته من بهاء ورونق وجمال بإتمام التوسعة التي أشرف عليها خادم الحرمين الشريفين . تقول الأبيات :

شهدنا خادم الحرمين يسعى
تراه مع البناة يكاد يبني
وينظر في مجسّمها مُشِيرًا
بتوسعةٍ يَدْرِقُ الصُّنْعُ فِيهَا
وفي هذي المآذن شامخاتٍ
بها تَبْرِيدها يجري رُخَاءً

ويخدم في المدينة باجتهادٍ
ويهدي المنشئين إلى السَّادِ
إلى صَوْنِ العزيم من التَّلَادِ
باتقان تجلّى في العمادِ
يَهْزُكُ فَوْقَهَا صَوْتُ المُنَادِ
يَهْمُ المِرءُ مِنْهُ بِالرُّقَادِ

هذا ولا ينسى شاعرنا أن يتحدث عن معلّم خالد ، هو مجمع القرآن الكريم ، وكيف أنه يخدم المصحف الشريف كتابة وضبطاً وإخراجاً لا يضاهيه إخراج . تقول القصيدة :

وشاد مُجَمَّعَ القرآن فيها
به الحُفَاطُ والحُدَاقُ قاموا
بضبطٍ ثُمَّ زَخْرَفَ وَرَسَمَ
ترى الألافَ للأفاق تُهْدِي
لقد عمّت مصاحفه وأضحتْ
تاللاً في المدينة منه نورٌ

بأصناف الطريف من العتادِ
على التَّدقيقِ والنَّظَرِ المُعَادِ
به الآياتُ تَبْدُو في أطرادِ
وتُهدى للحجيج وكلُّ غادِ
على قُننِ الجبال وفي الوهادِ
تبلّج في السَّمَاك على انفرادِ

(١) ابن الجهم هو الشاعر العباسي المشهور على بن الجهم . وهنا إشارة إلى قوله :

هذا العقيق فعد ايدي العيس عن غلوانها

إذا أطفئت ببئر عروة فاسقني من مائها

(٢) الطادي وزنها العالف وفيها قلب مكاني وأصلها الواطد أي القوي الثابت .

ولا ننسى أيضاً مركز السنة الذي ذكره الشاعر حيث يخدم السنة وينقيها من الشوائب . تقول الأبيات :

ومركزُ سنةٍ المختارِ حصنٌ حصينٌ في المدينة ذو امتدادٍ
تُصانُ به نضارتُها وتُحمى من التَّحريفِ فيها والفسادِ
وتلك مآثر للفهد يبقى بها في النَّاسِ مرفوع العمادِ

كل هذا صاغه شاعرنا في شعر قوي العبارة ، حسن الصورة ، وحلو المقاطع .

للشاعر السوداني محمد الحبيب السيد قصيدة رائعة نظمها بمناسبة قدوم

الحجاج إلى أرض الوطن بعد أداء فريضة الحج ، جاء فيها^(١) :

عادوا مع الركب والأمال تُرتقبُ وفرحة القلب في الأعماق تضطربُ
وحين حلوا بأرض المصطفى وجدوا لفرحة الروح إحساساً له العجبُ
بالأمس ساروا فباتوا في مواطنهم واليوم عادوا إلى الأوطان فاغتربوا
راحوا وعادوا وما زالت خواطرهم أنين موج ببحر الحب يصطخبُ
حتى الدموع التي راحوا بها رجعتُ كقطرة النور بالأضواء تنسكبُ
قد كان لي موعداً في ركبهم فمضوا وخلفوني بنار الشوق ألتهبُ
يسري بي القرب في بُعد آتية به حتى أرى البعد في دنياي يقتربُ

هذا شاعر يذكر تولىه وحنينه لهذه البقعة المباركة وكيف أن أشواقه

تستعر وتزداد عندما يقترب منها أو يكون فيها . الغربية أصبحت عنده استقراراً

في الوطن ، والاستقرار في الوطن أصبح غربة وضياعاً والشاعر هنا : « تتنازع

صورتان ، صورة بُعد الحسي وصورة قربه المعنوي ، وقد مزج بينهما ، فأصبح

قربه المعنوي يسري به في بُعد الحسي حتى رأى بعده الحسي قريباً . وهذا البيت

بألفاظه ومعناه يذكرنا بقول ابن الرومي في رثاء ابنه :

طواه الردى عني فأضحى مزاره بعيداً على قرْبٍ قريباً على بُعدٍ^(٢)

ليس هنالك أجمل من القول ونحن نأتي إلى خواتيم رصدنا لسجل هذه

البقعة المباركة تاريخاً وموضع وآثاراً من أن نقول إن هذه البقعة المباركة هي

وحدها التي يهفو له نبض القلب في كل مسلم ترنو مشاعره وعيناه إلى هذا

(١) مجلة المنهل ، العدد ٤٩٩ ، المجلد ٥٤ ، الربيعان ١٤١٣ هـ - سبتمبر / أكتوبر ١٩٩٢ م ، ص ١٧٣ - ١٧٤ .

(٢) المصدر السابق ، ص ١٧٤ .

المكان الحلم ، متطلعاً إلى المزيد في رحلة مباركة تحفها رعاية الرحمن وتوفيقه لينعم برؤية الآثار الإسلامية المضيئة ، وليسعد وجدانه بالوقوف أمام قبر أشرف الخلق ، سائلاً المولى النعمة في هذه الحياة وشاكراً الله تعالى أن وفقه لإتمام رحلة العمر هذه . إن طيبة الطيبة هي رمز الإسلام وهي موطن النور الذي شع في طرق أهل هذه الدنيا ليسلكوا طريق كتاب الله وسنة الرسول الكريم الهادي ، والرمز الخالد لرسالة هي من أسمى الرسالات ، والشكر موصول لهذه النخبة المتميزة من أساطين الكلمة السامية الذين رسموا بحرفهم وقالوا أجمل ما يمكن أن يقال وهو الشيء الذي يشرف دنيا الشعر إلى أن يطوي الله الأرض وما عليها . والله أسأل أن أكون قد وفقت في اختيار هذه المقاطع التي جادت بها قريحة هؤلاء الشعراء ، وإن كانت الأخرى ، فحسبي أنني حاولت ، والله من وراء القصد ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

